بسم الله الرحمن الرحيم

العِفَّةُ وَآثَارُهَا

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ العِفَّةَ خُلُقَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ، وَوَعَدَ بِهَا دَوَامَ الخَيْرِ وَالنَّعْمَاءِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُؤْتِي الخَيْرَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَلَ بِبِعثَتِهِ الأَرْضَ بِالسَّمَاءِ، وَأَرْشَدَ المُؤْمِنَ إِلَى مَحَاسِنِ البِرِّ وَالثَّنَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ العَرْضِ وَاللِّقَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعلَمُوا أَنَّ العَفَافَ مَسلَكٌ رَفِيعٌ، وَخُلُقٌ بَدِيعٌ، تُحَلِّقُ بِهِ النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ فَضْلاً وَسُمُوًّا، وَتَزْكُو بِهِ القُلُوبُ رِفْعَةً وَعُلُوًّا، يَتَنَاوَلُ أَسَاسَ الأَقْوَالِ، وَفَضَائِلَ الأَعْمَالِ، جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَأَيَّدَتْهُ الفَضَائِلُ الخُلُقِيَّةُ، وَالتَزَمَهُ الأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ. العَفَافُ وَاحَةٌ لِلأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ، وَجَنَّةٌ لِلْقِيَمِ النَّبِيلَةِ، وَمَنْبَعٌ صَافٍ لِلذَّوقِ وَالجَمَالِ، يَستَوِي فِيهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ. بِالعَفَافِ تَصلُحُ مَعَايِشُ العِبَادِ، وَتُصَانُ حُقُوقُهُمْ، وَتُبْنَى حَضَارَتُهُمْ، وَمَنْ كَانَتِ العِفَّةُ لِبَاسَهُ قَنَعَ بِمَا آتَاهُ اللهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ مَا لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ العِفَّةُ مَشْرَبَهُ؛ عَاشَ كَرِيمًا، وَمَاتَ مُعَافًى سَلِيمًا، إِذْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَأَمِنَ هُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ تَخَلَّقَ بِالعَفَافِ عَرَفَ الإِنْصَافَ، وَنَالَ مَحَاسِنَ الأَوْصَافِ، وَحَظِيَ بِالزَّادِ يَوْمَ لا يَنْفَعُ المَالُ وَالأَولادُ، مِصْدَاقًا لِقَولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، أَلاَ فَلْنَتَّخِذِ العِفَّةَ – أَيُّهَا المُسلِمُونَ – خُلُقًا مُلازِمًا، وَصَاحِبًا جَلِيلاً، فَلَيْسَ القَلِيلُ مِنَ الجَمِيلِ قَلِيلاً، وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ إِلَى الشَّرَفِ العَلِيِّ سَبِيلاً.

أَيُّها المُؤمِنونَ:

(١) سورة الشعراء / ٨٨-٨٩ .

إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ وَعِبَادَاتِه، تَغْرِسُ فِي القَلْبِ دَوَافِعَ العِفَّةِ، وتُؤَسِّسُ فِي الفِكْرِ أَسْبَابَ العَفَافِ، وَتَضْبِطُ سُلُوكَ الجَوَارِحِ عَلَيْهَا، وَقَدْ كَانَ هَذَا شَأْنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَى مَرِّ التَّأْرِيخِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)، فَأَمَرَ بِالوَفَاءِ وَالإِنْصَافِ، وَالبُعْدِ عَنِ التَّعَدِّي وَالإِسفَافِ، وَقَرَنَ ذَلِكَ بِالإِيْمَانِ الصَّادِقِ بِاللهِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ خَيْرَ مَا فِي الحَيَاةِ. وَمِنْ أَرْكَانِ الرِّسَالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، مَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ العِلْمِ وَالتَّزْكِيَةِ، وَهِيَ رُكْنُ العِفَّةِ الأَوَّلُ، وَأَسَاسُهَا فِي القَولِ وَالعَمَلِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

حِينَ تُبنَى المُجتَمَعَاتُ عَلَى العَفَافِ؛ تَتَوَثَّقُ عَلاقَتُهَا، وَتُضْبَطُ مَسِيرَاتُهَا، وَتَحْسُنُ ظُنُونُ الخَيْرِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَتَسلَمُ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ خَطَرَاتِ السُّوءِ، فَيَزِيدُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ رِفْعَةً وَإِكْرَامًا، وَوَحْدَةً وَانْسِجَامًا، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ مُوصِيًا عِبَادَهُ بِالوَصَايَا الكُبْرَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾(٣)، فَبَدَأَ بِتَوْحِيدِهِ وَهُوَ البَاعِثُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَالدَّافِعُ إِلَى العَفَافِ، فَلأَجْلِ ذَلِكَ يَبَرُّ الوَلَدُ وَالدَيْهِ، وَيَرْعَى حَقَّهُمَا، وَيَسْعَى فِي خِدْمَتِهِمَا، ثُمَّ يُتْبِعُ اللهُ تَعَالَى تِلْكَ الوَصَايَا فَيَقُولُ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾(٤)، فَيَلْفِتُ نَظَرَ الآبَاءِ إِلَى حُقُوقِ الأَبنَاءِ، وَيُلْزِمُهُمْ أَدَاءَهَا، وَيَمنَعُ مِنْ وَأْدِهِمْ خَوْفَ الفَقْرِ وَقِلَّةِ المَالِ، وَهَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ التَّعَفُّفِ عَنِ الإِضْرَارِ بِالأَبنَاءِ،

(١) سورة الأعراف/ ٨٥ .
(٢) سورة آل عمران/ ١٦٤.
(٣) سورة الأنعام / ١٥١.
(٤) سورة الأنعام/ ١٥١.

وكَفِّ الأَذَى عَنِ الضُّعَفَاءِ، ثُمَّ يُرشِدُ اللهُ تَعَالَى إِلَى صُوَرٍ أُخْرَى مِنْ خُلُقِ العَفَافِ، فَيَقُولُ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١)، ثُمَّ أَتْبَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ تِلْكَ الوَصَايَا الأَمْرَ بِالتَّعَفُّفِ عَنْ أَمْوَالِ الأَيتَامِ، وَالتَّعَفُّفِ عَنِ الغِشِّ فِي المُعَامَلاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَعِفَّةِ اللِّسَانِ عَنْ قَولِ الظُّلْمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢)، فَهَذِهِ الوَصَايَا الكُلِّيَّةُ لا تَنْهَضُ المُجتَمَعَاتُ إِلاَّ عَلَى قَوَائِمِهَا الثَّابِتَةِ، وَلا تَتَفَرَّعُ الخِصَالُ الحَمِيدَةُ إِلاَّ مِنْ غُصُونِهَا الخَضِرَةِ، وَمَعَالِمِهَا الرَّاسِخَةِ المَكِينَةِ، فَلِذَا يَخْتِمُ اللهُ تِلْكَ الآيَاتِ بِقَولِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

عِبَادَ اللهِ:

مِنَ العَفَافِ البُعْدُ عَنِ المَسْأَلَةِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَتَرْكُ التَّسَوُّلِ عَلَى الطُّرُقَاتِ، وَعِنْدَ أَبْوَابِ المَسَاجِدِ، فَهَذَا مَسلَكٌ مَذْمُومٌ، وَإِرَاقَةٌ لِمَاءِ الوَجْهِ، وَقَدِ امتَدَحَ اللهُ المُتَعَفِّفِينَ مِنَ الفُقَرَاءِ فَقَالَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(٤)، وَعِنْدَمَا يَكُونُ فِي يَدِ الوَلِيِّ مَالٌ لِلأَيتَامِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ، وَيُصلِحُ أَحْوَالَهُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ غَنِيًّا أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلا يَأْخُذَ مِنْهَا إِلاَّ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، فَيَأْخُذُ مِنْهَا بِقَدَرِ عَنَائِهِ فِي حِفْظِ مَصَالِحِهِمْ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ

---

(١) سورة الأنعام / ١٥١ .

(٢) سورة الأنعام/ ١٥٢.

(٣) سورة الأنعام / ١٥٣.

(٤) سورة البقرة/ ٢٧٣.

وَعَلا: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾(١)، وَإِنْ كَانَ الشَّابُّ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى تَحَمُّلِ تَبِعَاتِ الزَّوَاجِ المَالِيَّةِ؛ وَلا مُهَيَّأً لِتَحَمُّلِ نَفَقَاتِهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَستَعفِفَ حَتَّى يُوَسِّعَ اللهُ لَهُ مِنْ رِزقِهِ، يَقُولُ جَلَّ وَعَلا: ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾(٢).

أيها الناس:

إِنَّ مَسلَكَ العِفَّةِ لا يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ، وَلا يَكُونُ مِنْهُ إِلاَّ الصَّلاحُ وَالتَّيْسِيرُ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ نَمَاذِجَ مِنْ أَهلِ التُّقَى وَالعَفَافِ، قَادَتْهُمْ عِفَّةُ النَّفْسِ إِلَى تَبَوُّءِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الفَضْلِ، وَأَنْزَلَهُمُ اللهُ مَنَازِلَ الصِّدِّيقِينَ وَالأَبْرَارِ، فَهَا هُوَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ– حِينَ خَرَجَ إِلَى مَدْيَنَ، وَقَدْ أَصَابَهُ تَعَبُ السَّفَرِ وَمَشَاقُّهُ، وَتَكْذِيبُ قَوْمِهِ لَهُ؛ جَاءَتْهُ البُشْرَى، وَنَزَلَ عَلَيْهِ بَرْدُ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ، فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ، فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٣)، فَأَنْجَاهُ اللهُ بِعِفَّتِهِ، وَوَفَّقَهُ إِلَى مَرضَاتِهِ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ، وَهَا هُوَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ –عَلَيْهِ السَّلامُ– ابتُلِيَ بِمُؤَامَرَةِ سَوْءٍ وَمِحنَةٍ مِنْ قِبَلِ امرَأَةِ العَزِيزِ، غَيْرَ أَنَّهُ استَعَفَّ وَتَذَكَّرَ نِعْمَةَ رَبِّهِ، فَآتَاهُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلا: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ، وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ

---

(١) سورة النساء / ٦ .

(٢) سورة النور / ٣٣ .

(٣) سورة القصص / ٢٣-٢٥.

لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(١).

فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا المُسلِمُونَ –، وَالزَمُوا خُلُقَ العِفَّةِ حَيْثُ كُنْتُمْ، وَاقْرِنُوهَا فِي كُلِّ أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَتَذَكَّرُوا قِصَصَ المُستَعِفِّينَ مِنْ قَبلِكُمْ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾(٢).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا لا أَمَدَ لانْقِطَاعِه، وَلا حَدَّ فِي نُطْقِه وَسَمَاعِه، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، خَتَمَ بِالعَفَافِ خُلُقَ أَتْبَاعِه، وَشَدَّ سَهْمَ الخَيْرِ بِيُمْنِ مَطَالِعِه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَتْ رِسَالَتُهُ بِالأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ، وَالأَخْلاقِ اللَّامِعَةِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِالحِكْمَةِ الجَامِعَةِ، وَالأَعْمَالِ النَّافِعَةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعلَمُوا أَنَّهُ لَمَّا أَرْسَلَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ كِتَابَهُ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ، لِيَدْعُوَهُ إِلَى الإِسْلامِ؛ سَأَلَ هِرَقْلُ مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُ عَنْ أَحْوَالِ هَذَا النَّبِيِّ، وَأُمُورٍ أَرَادَ مَعْرِفَتَهَا عَنْ هَذَا الدِّينِ الجَدِيدِ، فَكَانَ مِمَّا سَأَلَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ – يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ –؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ: ((اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ))، وَبِهَذَا تَتَحَدَّدُ مَكَانَةُ العَفَافِ فِي هَذَا الدِّينِ، وَتَتَأَكَّدُ المُطَالَبَةُ بِهِ فِي سُلُوكِ المُؤْمِنِينَ، وَلا عَجَبَ إِذًا أَنْ يَكُونَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ قَولُهُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى)). إِنَّ العَفَافَ لَيْسَ شُعُورًا قَلْبِيًّا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ نِظَامٌ خُلُقِيٌّ مُتَكَامِلٌ، يَعتَمِدُ عَلَيْهِ سُلُوكُ الإِنْسَانِ وَنِظَامُهُ،

(١) سورة يوسف / ٢٢-٢٤ .

(٢) سورة الأنعام / ٩٠ .

وَتَتَشَعَّبُ مِنْهُ مَكَارِمُهُ وَصِفَاتُهُ، وَتَنْطَلِقُ مِنْهُ رُؤْيَتُهُ لِلْحَيَاةِ مِنْ حَولِهِ، فَيُبْصِرُ الدُّنْيَا بِعَيْنِ العِفَّةِ، وَيَمشِي بَيْنَ النَّاسِ عَلَى ثَوَابِتِهَا. العِفَّةُ خُلُقٌ يُلازِمُ الأَبَ فِي بَيتِهِ، وَالمَرْأَةَ بَيْنَ أَهلِهَا، وَالمَسْؤُولَ فِي مَقَرِّ عَمَلِهِ، وَالمُسَافِرَ فِي غُرْبَتِهِ، وَطَالِبَ العِلْمِ فِي مَدْرَسَتِهِ، وَالجَمِيعَ حَيْثُ كَانُوا، وَلا يَتْرُكُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فَارَقَهُ الخَيْرُ، فَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا.

فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالَى – أَيُّهَا المُسلِمُونَ –، وَتَزَوَّدُوا مِنَ العِفَّةِ فِي سُلُوكِكُمْ؛ تَتَقَرَّبُوا بِذَلِكَ إِلَى مَوْلاكُمْ، حَتَّى يُحِبَّكُمُ اللهُ وَالمَلائِكَةُ، وَيُكْتَبَ لَكُمُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ، مَعَ حُسْنِ الذِّكْرِ وَسَلامَةِ الدِّينِ وَالعِرْضِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، ووَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.